

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(البند السادسة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد الحادي عشر) قال المعتز : وما يقضي بالعجب أن يناقض القرآن نفسه في القدر الذي هو من الايمان وركن مهم من أركان الاسلام فقال « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » أي من كل أمرٍ قدر في تلك السنة كما عليه جمهور المفسرين . وقال أيضا « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » وهي عندهم ليلة القدر التي تفصل فيها الأقدية ويفرق أي يقدر كل أمر يقع ذلك العام من حياة أو موت أو غير ذلك الى مثلها من قابل وهذا يترتب عليه أن أمور الخلق تقدر عاما عاما . لكن ذلك منقوض بقوله في سورة الحديد « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » أي المكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله من قبل أن تخلق وأنت تعلم أن هذا اللوح قد كتبت فيه بزعمهم كل الأمور وقدرت من قبل أن تكون ليلة القدر . وزاد ذلك ايضا فقال « وكل انسان أزمانه طأثره في عنقه » أي أزمانه عمله وما قدر له وعليه منذ ميلاده حتى لزمه لزوم الطوق للمنق . ويترب على هذا أنه قدر على الانسان دفعة كل ما يعمله في عمره لا ما يعمله في عامه فقط وهذا تناقض بين في أركان الايمان لا يصح وقوعه في كتاب جميع ما فيه كلام الله : اه قوله بحروفه الكلمة (أنفسكم) من الآية الكريمة بدلها بنفوسكم فكتبنا الاصل الصحيح .

وقول في الجواب : إننا كتبنا كل ما كتبه في تقرير هذه الشبهة وحسبه ما كتبه نضيجة ودلالة على سوء القصد وتعمد التمويه ولو قلنا إنه يزعم أن بين تلك الآيات تناقضا

ولم نذكر ما قرر وشرح به ذلك انتقاض ما أفاد القول إلا أنه جاهل لم يفهم تلك الآيات وهذا عار عليه أكبر وخلاف الواقع ، أما كونه خلاف الواقع فهو أنه اطلع على تفسير الآيات وفهمها وأما كونه أكبر عارا فذاك أن الجهل عار عند جميع الناس من أهل ملته وغيرهم ، وإن قومه يمدونه من كبار الكتاب والباطاء فإذا ظهر لهم أنه لا يفهم هذه الآيات فانهم يخشرونه وينزعون عنه لباس تلك الخصوصية فيكون عاريا من كل منزلة ، وليس في سوء القصد وسلوك سبيل المغالطة في تشكيك عوام المسلمين بدينهم إلا احتقار العزلاء والفضلاء من جميع الطوائف وأهل الأنصاف من قومه النصارى خاصة وأما المتعصبون منهم مثله فإنه ليرضيم الطعن بالاسلام والمسلمين ، وإن جاء صاحبه بالأفك الميين

هذه الشبهة لا تحتاج الى جواب من حيث هي شبهة على القرآن لأن محلها في زعمه ان بعض الآيات نص في أن أمور الخالق تقدر عاما فعاما وبعضها نص في أنها تقدر دفعة واحدة وليس شيء منها كما قال . فقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » لا يدل على أن أمور الخالق تقدر عاما فعاما كما زعم وهذا ظاهر لا يحتاج الى بيان اذ ليس فيها ذكر للتقدير ولا للسنين والاعوام . وقوله جل وعز « ما أصاب من مصيبة الآية... ليس نصا في أن أمور المخلوقات تقدر دفعة واحدة كما ادعى وإنما تدل على أن المصائب في الآفاق وفي الأنفس معلومة قبل وقوعها لله تعالى علم الامر المحصي في الكتاب او هي مكتوبة كتابة تناسب عالم الغيب وتليق به ، وليس فيها ان تلك الكتابة التي ذكرت على سبيل التمثيل أو المجاز أو الحقيقة الغيبية حصلت دفعة واحدة أو بالتدرج أو انها كانت في أول العام ، أو قبل خلق الانام . ولكن العقل والنقل يدلان على أن علم الله تعالى قديم لا تدرج فيه لأن التدرج لا يكون الا في الحوادث وهو يستلزم الجهل فتمين ان يقال ان ما يقع من المصائب وغيرها معلوم لله تعالى في الأزل . فان أريد بالكتابة العلم الالهي فظاهر وان أريد أن هناك كتابة فلا شك أنها تكون للملائكة الموكلين بالأعمال الذين جعل الله بهم قوام السنن العامة والنواميس الكلية والذين يسميهم المحجوبون قوى ونواميس طبيعية . وعند ذلك يصح أن تكون الكتابة في كل عام ولكن الآي ليست نصا في هذا فلا يمكن الاعتراض

عليها بحال. وكذلك قوله تعالى « وكل انسان أزمانه طائرذ في عنقه » ليس نصا في كون أعمال الانسان قدرت عليه دفعة واحدة ولا منافيا لكونها تقدر عليه في كل عام كما هو ظاهر وإنما معناه أن الانسان رهين بعماله ومطوق به لا يستطيع ان يتفلس من تبعته لماله في التأثير في نفسه فان الاعمال تطبع الملكات وتكون الاخلاق التي هي صفات النفس فانها لازمة للانسان لزوم الطوق للعنق . فاین هذا المعنى الظاهر مما زعمه المعترض وكيف السبيل الى القول بتناقضه مع تلك الآية لو فرضنا أنها نص فيها ففسرها به ؟؟

بقي ان يقال : ان المعترض يني حكمه على قول المفسرين في لية القدر انها اللية المباركة الموصوفة في سورة الدخان بقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وقد فسّر الفرق بالتقدير وقال جمهورهم بان المراد تقدير أمور العام : وتقول في الجواب (أولا) انه قد علم مما شرحناه ان آية الحديد وآية الاسراء لا تناقضان هذا التفسير لان المطلق لا ينافي المقيد ولا يتناقضه ولعلماء الاصول في مقابلة المطلق بالمقيد قولان أحدهما: أن المطلق يجري على إطلاقه والمقيد يجري على قيده. فلو فرضنا أن معنى الآيات ما ذكرنا كان من مانع لأن يقال ان هناك تقديرا أزليا وهو ما في علم الله الأزلي وتقديراً سنويا يحدد في كل عام لحكمة من الحكم ككون الملائكة المدبرات للأعمال والشؤون تجري عليه. ولا شك ان الملائكة لا يعلمون كل ما في علم الله تعالى ولا يستطيعون ان يعلموا كل ذلك فالله تعالى يعلمهم بما تقضي حكمته ان يعلمود . واذا صح هذا فيشبهه في عالم الشهادة ان الفلكي يكتب تقويميا للسنة ثم يستخرج منه في كل شهر تقويميا لفرض من الأغراض كسهولة المراجعة مثلا. ومن الناس من كتب تقويميا لألوف من السنين فاذا كتب تقاويم أخرى للاعوام عاما عاما أو للشهور شهرا شهرا وقال قائل ان فلانا كتب تقويميا خمسة آلاف عاما ثم قال في سياق آخر انه كتب تقويميا للسنة فهل يقال ان هذين القولين متناقضان ؟ كلا إنما يقول ذلك الجاهل الذي يفهم معنى التناقض وثاني قولي الاصوليين ان المقيد يقيد المطلق كما قالوا في الامر باعتناق القائل رغبة مؤمنة انه يقيد أمر الحائث باليمين باعتناق رغبة لم يقيد بأنها مؤمنة. ومن امثلة ذلك ان يكتب المؤرخ أو صاحب الجريدة ان فلانا صار علما وألف كتابا نفيسا

ثم يكتب في وقت آخر : ان فلانا قد ألف كتابا في علم البيان : فيحمل هذا على ذلك ويقال انه أراد بالكتاب المطلق كتاب البيان . والامثلة في كل من القولين كثيرة ويختلف الترجيح باختلاف الوقائع والاحوال

ثم نقول (ثانيا) انه لا يصح للماقل أن يجعل رأي بعض المفسرين ولا جمهورهم حاكما على الكلام الذين يفسرونه اذا كان يرى ان الكلام لا يدل عليه ، وظاهر لكل من يعرف العربية انه لا يوجد في آية من الآيات ما يدل على التقدير السنوي لا ينطق الآيات ولا يفهمها ولكن حجت عادة المفسرين بأن يذكروا في كل موضوع ما يتعلق به من الآراء أو الاحكام المروية عن السلف وأئمة المذاهب صراحة أو موقوفة صحيحة أو ضميعة كما يذكرون آراء النحاة في إعراب الآيات فمن يتعاق برأي أو رواية مما يوردونه في التفسير يرى آية أخرى تنافيه فيجمل هذا شاهدا على تناقض القرآن نفسه فهو كمن يتعلق برأي من آراء النحاة التي يوردونها يمنع أو يجيز حكما في الاعراب لا ينطبق ذلك الحكم على آية أخرى غير التي أوردوه في إعرابها ثم يقول : إن هذه الآية مخالفة لتلك في الاعراب فهي غلط أو لحن : وما هي بمخالفة الا لرأي ذلك النحوي !

وبعد هذا كله نقول ان (القدر) في قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر » معناه الشرف وهو المتبادر منه وليس معناه التقدير وقد قدم اليضاوي القول الاول في تفسيره وذكر الثاني بصفة التمريض (قيل) ومعنى الشرف فيها ظاهر قائمها الليلة التي بدئ فيها نزول القرآن فهي شرف لتبني عليه الصلاة والسلام ولقومه ولجميع المؤمنين كما قال تعالى في القرآن « وانه لذكركم ولقومك » أي شرف لكم . وأي شرف أعظم من هذه الهداية الالهية المظمية . وأما قوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » فعناه أنهم يتنزلون من أجل كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخلق لأن سياق الكلام فيه لافي التكوين

وأما قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة » الى قوله - فيها يفرق كل أمر حكيم » فعناه انه أنزل القرآن في ليلة مباركة والبركة فيها ظاهرة كما ان الشرف فيها ظاهر فهي ليلة القدر بخلاف بعض المفسرين الذين قالوا انها ليلة النصف من شبان .

وقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » مضاه انه يفصل فيها وبين كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخليفة بدليل ان سياق الكلام في انزال القرآن وبدليل الآية التي بعدها وهي « أمرا من عندنا انا كنا مرسلين » فيبين ان هذه الأمور هي التي تخص برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واعلم انه قد ورد في تفسير هذه الآية ان الملائكة تكتب فيها الأقدار ولكن هذا ليس منصوصا في الكتاب العزيز ولا في الحديث المتواتر فيكون قطيا والاعتقاد به محتما ولا في الاحاديث المرفوعة الصحيحة الأحادية فيكون ظنيا والاعتقاد به من الاحتياط وانما ورد عن بعض الذين اشتهروا بالتفسير من السلف ورويت عنهم في الموضوعات والاكاذيب حتى قال الامام أحمد انه لا يصح في التفسير شيء ، وأقوى ما روى في ذلك ما رواه عبد الرزاق وغيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة . وقد علمت أن المعارض قد سقط بشبهته سواء صح ذلك عن هؤلاء المفسرين أم لم يصح « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » فقلوبوا هنالك وانقلبوا صاغرين»

باب الاسئلة والاجوبة

(بيان القرآن وبلاغته وما يوهم غير ذلك)

(س ١) الشيخ احمد محمد الاني بطوخ القراموس : كيف الجمع بين قوله تعالى « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

(ج) راجعوا ما كتبه الاستاذ الامام في الجمع بين الآية الاولى وبين قوله تعالى « قل كل من عند الله » في الصفحة ١٥٧ من مجلد المنار الثالث

(س ٢) ومنه : كيف الجمع بين قوله تعالى في أوائل السور : حم : الزن : ق : وقوله « عربي مين » وقوله « تلك آيات الكتاب المبين - قرآنا عربيا غير ذي عوج » الخ : (ج) ان « حم » ونظائرها أسماء للسور على الراجح عند المحققين ودلالة الاسم على المسمى بينة لاعوج فيها وأتم تعلمون ان الاسماء لا تعمل فلا يقال : لماذا سميت السورة بالمعروفة (ن) فان كانت سميت به لذكر الحوت فيها والنون من أسماء الحوت فلماذا